الإعجاز العلمي واللغوي في حديث القرآن عن بعض الحشرات

د. السيد محمد سالم سالم العوضي

El Sayed Mohamed Salem Alawadi

كلية الاتصال واللغات – جامعة السلطان زين العابدين

د. رجب إبراهيم أحمد عوض

Ragab Ibrahim Ahmed Awad

كلية الاتصال واللغات – جامعة السلطان زين العابدين

تمهيد:

لقد اشتد الجدل - وما زال - حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فهذه القضية بين مؤيد ومعارض، وهناك من العلماء من يؤيد هذه القضية - قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم- إلى حدّ المبالغة والشطط، وهناك من العلماء من يعارض هذه الفكرة حتى وصل إلى حدّ العداء، ومن العلماء صنف ثالث أثر أن يكون بين هؤلاء وأولئك قواماً بلا إفراط ولا تفريط.

وبالرغم من القبول والموافقة من الفريق الأول، والرفض والإنكار من الفريق الثاني إلا أن ذلك لا يقلل من أهميته ولا يهون من حقيقته أو ينال منها؛ إذ إن الاختلاف في الرأي والتباين في الفهم من سنن التفكير بين البشر، خاصة في الموضوعات التي يكون للعقل والمنطق فيها دور أكبر من دور الحس والمشاهدة. ومهما بلغت الأمور درجة اليقين، فإن بعض الناس ينكرونها ويجادلون فيها، وليس أدل على ذلك من إنكار وجود الله - سبحانه وتعالى - الذي يصدر عن الملحدين بالرغم من وجود البراهين العقلية والحسية والسبب هو أن عقولهم لا تقتنع إلا بالمشاهد الملموسة وترفض الغيبي المعقول.

ولهذا فلا داعي مطلقاً للتذمر أو التبرم من موقف المعارضين للإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم، فلهم مخاوفهم وأسبابهم في ذلك، وعلينا حق الاحترام والتقدير. ونحن في هذا الموقف الخلافي بين المؤيدين والمعارضين نتذكر قول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (1). وقوله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (2).

وهما فريقان يختصمان وكل يدلي بدلوه ويعرض حجته ويقدم أدلته، ويبذل جهده لإقناع الآخر بعدم جدوى قضيته، ولكن يبقى القول الفصل للعقل والواقع الذي لا يختلف عليه اثنان ولا تتناطح عليه عزان. إذن أمامنا فريق مؤيد وآخر معارض لقضية الإعجاز العلمي، وسنعطي نبذة مختصرة على كلا الفريقين وتقسيماتهما لعنا نفق على وجهة نظرهم، ونحدد في النهاية لمن ننتصر، ومع أيهما نميل دون محاباة ولا مواربة أو طيش أو زيغ.

ولعل البحث هنا يستدعي تقسيماً لأحد الباحثين (3) فقد قسم فريق المؤيدين للإعجاز العلمي في القرآن الكريم إلى فئتين- فئة المؤيدين للإعجاز العلمي

(1) سورة هود، آية رقم: (118).

(2) سورة الكهف، آية رقم: (54).

(3) وهو الأستاذ الدكتور: كارم السيد غنيم. أستاذ علم الحشرات- جامعة الأزهر، وأمين عام جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. وهذا في مقاله المنشور في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن

لمجرد تسليمهم بالإعجاز المطلق للقرآن الكريم في جميع مناحي الحياة وفي كل أنواع المعارف؛ وهذا لإيمانهم بأنه مجمع الحقائق وكنز أسرار المعارف المحتوي على كل أنواع العلوم، وهؤلاء يمكن بأنهم المؤيدون إيماناً، وهم السلف من علماء المسلمين بسبب عدم توافر العلوم الكونية لديهم ولغيرهم من العلماء الذين عاشوا في هذه العصور، والبسطاء من الناس الذين لا حظ لهم من العلم بل لهم حظ من الإيمان بأن القرآن يحوي كل العلوم والفنون سلفاً.

والفئة الثانية هي فئة المؤيدين للإعجاز العلمي إيماناً بمعجزة القرآن الكريم، فضلاً عن توافر العلوم الكونية لديهم والتي فهموا بها مدلول الآيات القرآنية ذات الإشارات العلمية فهماً صحيحاً، وهم العلماء الذين عاشوا في عصور الاكتشافات الكونية؛ سواء كانوا من المتخصصين في العلوم الطبيعية أم كانوا من علماء الدين الذين توافرت لديهم المعارف الكونية. ويمكن أن نطلق عليهم "المؤيدون إيماناً وعملاً" ولا شك أن المؤيدين من الفئة الثانية أكمل فهماً للإعجاز العلمي من الفئة الأولى.

● وواضح أن تأييدهم جاء للإعجاز العلمي انطلاقاً من قناعات تتمثل في بعض المسلمات التي عاينوها من خلال الكون وسننه وما توصلت إليه الاكتشافات العلمية الحديثة، وما لديهم من آيات قرآنية التي تعد أدلة نقالية لإثبات هذا التأييد وتحققه من مثل قوله- سبحانه وتعالى-: **جَوْماً مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** (1). ومما سبق يتضح أن المؤيدين للإعجاز العلمي يختلفون في الثقافات ما بين تخصصات في العلوم الدينية وهم علماء وسلف هذه الأمة، وتخصصات أخرى في العلوم الكونية، وهم من توفرت لهم مشاهد وشواهد العلوم الكونية، وبعضاً من الإشارات والاكتشافات العلمية.

ونأتي إلى الطرف الثاني في قضية الإعجاز العلمي، وهم المعارضون للإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ فلقد قسّمهم كذلك الدكتور كارم غنيم إلى فئات ثلاث، وهم الفئة الأولى: تخشى على مصداقية القرآن إذا ارتبط تفسيره بالعلوم الكونية وما بها من معلومات متغيرة، مما ينعكس على استقرار التفسير العلمي للقرآن الكريم، كما يخشون على تطويع معاني الكلمات ومدلول الآيات بما

والسنة، بتاريخ: 2010/6/21م. بعنوان: الإعجاز
والمعارضة. (بتصرف). انظر: www.quran-m.com.
(1) سورة الأنعام، آية رقم: (38).

وصلت إليه العلوم الكونية، وهو ما يعرف عند المعارضين — (لي أعناق الآيات القرآنية) فهم يرفضون الإعجاز العلمي والتفسير العلمي إذن من باب الحرص على القرآن الكريم، ونطلق عليهم (فئة المتخوفين).

والفئة الثاني: لا ترى دليلاً على الإعجاز العلمي ولا ترى في كلمة (الكتاب) وكلمة (شيء) الواردتين بالآيات القرآنية دليلاً على عكس ما يراه المؤيدين فعندهم معنى الكتاب هو (اللوح المحفوظ) أو (أم الكتاب) وتكتفي هذه الفئة بالإعجاز اللغوي والبياني... وتقول بأن القرآن كتاب هداية وتشريع... ونطلق عليهم (فئة المعطلين). والفئة الثالثة: ترفض الإعجاز العلمي بسبب نظرتهم الإلحادية وكفرهم بالقرآن أو بسبب الحسد والحقد على القرآن لتفوقه على سائر الكتب الدينية وانفراده بالإعجاز الشامل، ومنه الإعجاز العلمي، ونطلق عليهم (فئة الجاحدين الحاقدين)

والطرف الثاني الرافض للإعجاز العلمي، لعل رفضه لهذه القضية من طبيعة الفطرة التي فطر الناس عليها من اختلاف في الأفهام والعقول وبالتالي ينسحب على الخلافات في الرأي، وربما بدأ رفض مثل هذه الدعوات كرد فعل على ما قام به الفخر الرازي من استخدام للمعارف الكونية في تفسيره للقرآن الكريم، فعارضوا الفكرة، ولعلمهم معذرون في هذا لما رأوه خروجاً على منهج التفسير التقليدي الذي ألفوه، فضلاً أنهم ووجدوا منه إسرافاً في استخدام المعارف العلمية في التفسير. واستمر الرفض إلى يومنا هذا من بعض العلماء المسلمين.

وبالنسبة للقدماء بدءاً من عصور الصحابة فإن الإعجاز القرآني قد كانوا يؤمنون بإعجازه المطلق وبإعجازه لغة وموضوعاً، ولم يتزلزلوا في الإعجاز العلمي لغموض الإشارات العلمية عليهم وافتقارهم وافتقار العالم في عصرهم إلى العلوم الطبيعية القائمة على الكشف والدراسات العلمية.

وعلى ما تقدم ستبقى عجلة الخلاف سائرة، ولن تقف عند حد معين؛ وهذا ربما بسبب أن كثيراً من المعارضين لم تتضح فكرة الإعجاز العلمي في أذهانهم...، ولا ينبغي أن نقلل من شأنهم فلهم اعتبارات خاصة بهم؛ ولكن الحقيقة الدامغة التي يؤكدتها الواقع أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، ولكل عصر ومصر، فالجيل الأول ناسبهم الإعجاز اللغوي والبياني؛ لأنهم كانوا أهل فصاحة وبيان، ولو ظهر لهم ما نتحدث عنه اليوم من إعجاز علمي لأنكروه؛ لأنه — في تلك الفترة- لا يناسب مداركهم وإمكاناتهم العلمية، ولم تتوفر لديهم من الوسائل ما يمكّنهم من الوصول لمثل هذه الحقائق الآن. ففهموا القرآن بالقدر الذي مكنهم من الإيمان والهداية، وهذا هو الهدف الرئيس من نزول القرآن في الأصل. وادخر الله — عزّ وجلّ- الأسرار والحقائق ليكشفها على فترات، وليأخذ منها كل

جيل ما يناسب زمنهم، وما يكفي لأن يكون برهاناً على قدرة الله وحجة لكتابه العظيم، وبهذا يظل القرآن كنز أسرار لا تنفذ غرائبه ولا تنتهي عجائبه، ولا ينقطع إعجازه، وكما اقتنع السابقون الأوائل بإعجازه البياني، فإنه يقتنع من بعدهم بإعجازه العلمي.

وأعتقد أن كل المشتغلين بدراسة الإعجاز العلمي عندهم قواعد وضوابط ومنهج يلتزمون به، ويسيرون عليه، يقرون بها الحقائق العلمية الثابتة، وليس النظريات التي تقبل الأخذ والرد وعُرْضة للتغيير، وهم بهذا يساعدون في تقريب آيات القرآن الكريم، وإضفاء نوع من التوضيح والبيان لآيات القرآن الكونية؛ وهذا يجعلنا نفهمها على حقيقتها، بعيداً عن متاهات التأويل وتوقعات المفسرين، وتفسير المتوقعين.

والمدقق في دنيا الناس الآن سيجد أن هذا الموضوع خاصة، قد فتح الله به أذاناً صمّاً وأعيناً عمياً وقلوباً غُلفاً، والدليل على ذلك من رأيائهم من علماء الغرب الذين أيقنوا بأن هذه الإشارات العلمية فوق قدرات البشر وآمنوا بأن القرآن وحي من عند الله - سبحانه وتعالى-، وأشهروا إسلامهم، سواء في مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن والسنة عبر السنوات الماضية، أم في غيرها... وعليه فإن هذه الوريقات تحاول أن تمس هذا الموضوع من قريب مع بعض الحشرات التي ذكرها الله في القرآن الكريم؛ لنقف على تعاضد وتكامل الإعجاز اللغوي والعلمي فيه لخدمة هدف واحد وهو تقريب العباد من ربهم عن طريق شحذ عزائمهم وتقوية همهم لترسيخ الإيمان في قلوبهم.

المبحث الأول: الإعجاز العلمي واللغوي في حديث القرآن عن البعوضة

ولفظ بَعُوضَةً ورد في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (1). والآية في: " هو أن الله - سبحانه وتعالى - لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ونحوها بما هو دونها أو أكبر منها، ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها، فلا غرابة ولا حرج في الإتيان بالأمثال والأشباه سواء أكانت صغيرة أم كبيرة؛ لأن العظمة فيها جميعها شيء واحد وهو الخلق والإبداع" (2). "ولما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين، قوله: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...)، وقوله: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ...) الآيات الثلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً...) إلى قوله: (... أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (3)؛ ولذا تفردت هذه الكلمة هنا في هذا المقام؛ لأنها جاءت مناسبة وموافقة لسبب نزولها؛ وهذا لأن الكفار تجاهلوا واستنكروا مثل هذه الأمثلة ونظروا إليها نظرة دونية، وعليه ضرب الله مثلاً بما هو أقل منها.

"واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب. يقال: بعضه البعوض. ومنه: بعض الشيء لأنه قطعة منه. والبعوض في أصله صفة على فاعول كالقطوع فغلبيت" (4).

"وضرب الأمثلة بالأشياء المحسوسة لتأنس بها النفوس، وتتكشف أمامها الغوامض، وتزول الأوهام عن معارضة العقل. والله الحكيم يفعل ما يحقق المصلحة بضرب المثل في العظائم والمحقرات حسب الأحوال والمناسبات، فإن كان الأمر عظيمًا كالحق والإسلام ضرب مثله بالنور والضياء، وإن كان الأمر مهينًا حقيرًا كالأصنام ضرب مثله في عدم النفع وانعدام الفائدة بما يشبهه من الذباب والبعوض والعنكبوت" (5).

(1) البقرة، آية رقم: (26).

(2) الزحيلي، وهبة (1418هـ). المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر المعاصر. ج1 ص455.

(3) الطبري، ابن جرير. (2000م). جامع البيان في تأويل القرآن. مصر: مؤسسة الرسالة. ج1 ص138.

(4) الزمخشري. محمود بن عمر. (2003م). الكشف. بيروت: دار إحياء التراث. ج1 ص115.

(5) الزحيلي، وهبة المنير. مرجع سابق. ج1 ص110.

وهكذا "حين ضرب الله مثلا بالبعوضة وما فوقها، أي بما هو أقل منها حجماً، فإنه- تبارك وتعالى- أراد أن يلفتنا إلى دقة الخلق، فكلما لطف الشيء وصغر حجمه احتاج إلى دقة الخلق، ولكن الكفار لم يأخذوا المعنى على هذا النحو، وإنما أخذوه بالمعنى الدنيوي البسيط الذي لا يمثل الحقيقة"⁽¹⁾. ولطالما نظر الإنسان إلى البعوضة على أنها مخلوق تافه، فهي من أصغر ما يشاهده بعينه المجردة و في حياته اليومية، و لكن الله - سبحانه - يذكرها في كتابه العظيم ودون أي استحياء. والعبرة في الخلق ليست بالحجم و بالشكل، فالبعوضة -على صغر حجمها- فيها من إبداع الخالق - جل جلاله- ما يذهل الألباب، و هذه بعض من الحقائق المكتشفة عن البعوضة:

- إن في رأس البعوضة مئة عين، و لو كبر رأس البعوضة بالمجهر الإلكتروني لرأينا عيونها المئة على شكل خلية النحل، وفي فمها ثمان وأربعون سنناً، وفي صدر البعوضة ثلاثة قلوب؛ قلب مركزي وقلب لكل جناح.
- تمتلك البعوضة جهازاً لا تمتلكه الطائرات الحديثة و هو عبارة عن مستقبلات حرارية؛ حيث إن البعوضة لا ترى الأشياء بأشكالها و ألوانها بل بحرارتها، و حساسية هذا الجهاز هي واحد بالألف من درجة الحرارة المئوية!
- تمتلك البعوضة جهازاً لتحليل الدم، فليس كل دم مناسب لها، فقد ينام طفلان على سرير واحد، وفي الصباح تجد جبين أحدهما مليئاً بلسعات البعوض، أما الثاني فلا تجد أثراً لللسعات البعوض عليه.
- تمتلك البعوضة جهازاً للتخدير، فهي تخدر موضع اللسع حتى لا يشعر بها الشخص فيقتلها أثناء امتصاصها للدم، و عندما يزول أثر المخدر يشعر الشخص بألم اللسع.
- تمتلك البعوضة جهازاً لتميع الدم الذي تمتصه من الإنسان، حتى يتيسر له المرور عبر خرطومها الدقيق، و حتى تمنع تخثر الدم في منطقة الامتصاص عندما يفرز الجسم أنزيمات التخثر!
- للبعوضة خرطوم فيه ست سكاكين؛ أربع سكاكين تحدث في جلد الملدوغ جرحاً مربعاً يصل إلى وعاء دموي، والسكيتان الخامسة و السادسة تلتقيان لتكوّنا أنبوباً لامتصاص الدم.

(1) الشعراوي، محمد متولي. (د.ت). تفسير الشعراوي. مصر: دار أخبار اليوم. ج.1. ص.105.

- البعوضة مزودة بجهاز شم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من على بعد ليس بالقريب.
 - في أرجل البعوضة مخالب تستخدمها إذا أرادت الوقوف على سطح خشن، ولها محاجم إذا أرادت أن تقف على سطح أملس⁽¹⁾.
- وبعد معرفة هذه المعلومات المدهشة عن تصميم البعوضة ندرك شيئاً من عظمة الخالق، ومدى إتقان خلقه، كما ندرك جانباً من أسباب اختيار الله -جل جلاله- لهذا المخلوق بالذات من بين جميع المخلوقات للرد على افتراءات أهل الضلال، وإثباته في طيات كتابه الكريم. "فالله رب الصغير والكبير، وخالق البعوضة والفيل، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل، إنها معجزة الحياة. معجزة السر المغلق الذي لا يعلمه إلا الله، على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل، إنما الأمثال أدوات للتبصير والتبصير. وليس في ضرب الأمثال ما يعاب، وما من شأنه الاستحياء من ذكره"⁽²⁾.

(1) هورتون، ريتشارد. (2002م). البعوض. ترجمة/أحمد محمود. مجلة وجهات نظر. العدد (44). نقلاً عن مجلة The new york review of books. وينظر موقع: www.islam2all.com ، تاريخ التصفح 2012/6/16. (بتصرف يسير).

(2) قطب، سيد. (1402هـ). في ظلال القرآن. مصر: دار الشروق. ط11. ج1. ص50.

المبحث الثاني: الإعجاز العلمي واللغوي في حديث القرآن عن القمل

ولفظ القُمَّل: ورد في قوله تعالى: جَفَّارُ سُنَّاتِنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالْذَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (1). والآية في أنواع العذاب والجزاء والعقاب والآيات التي أنزلها الله على فرعون وقومه.

والقمل: دويبة من جنس القردان إلا أنها أصغر منها يركب البعير عند الهزال، وقيل: هو صغار الدَّرِّ والدَّبَى، وقيل: هو الدبى الذي لا أجنحة له، وقيل: القمل قمل الناس، وقيل: شيء يقع في الزرع ليس بجراد يأكل السنبله وهي غضة قبل أن تخرج فيطول الزرع ولا سنبل له (2)، "والقمل هو غير القمل. فالقمل هو الآفة التي تصيب الإنسان في بدنه وثيابه وتنشأ من قذارة الثياب، أما القمل فقيل هو السوس الذي يصيب الحبوب، ومفردها قُمَّلة، وقيل هو ما نسميه بالقراد، وقيل هو الحشرات التي تهلك النبات والحرث، وحين نراه نزرع ونبحث عن تخليص الزرع منه باليد والمبيدات، وكل ذلك من تنبيهات الحق للخلق، وهي مجرد تنبيه وإرشاد ولَفَتْ لالفتات إلى الحق" (3).

ولقد ذكر الله في نفس الآية الضفادع فرأينا أنه من المناسب أن نمر عليها مرور الكرام. فالضفدع هي: "دابة مائية معروفة، تتغذى بالحشرات والسمك الصغير" (4)، وقال ابن عاشور عن الضفادع: "والضفادع: جمع ضَفَدَع وهو حيوان يمشي على أرجل أربع ويسحب بطنه على الأرض ويسبح في المياه، ويكون في الغدران ومناقع المياه، صوته مثل القراقر يسمى نقيقاً، أصابهم جند كثير منه يقع في طعامهم يرتمي إلى القدور، ويقع في العيون والأسقية وفي البيوت فيفسد ما يقع فيه وتطؤه أرجل الناس فتتقذر به البيوت" (5). والضفدع بنقيقتها تنغص الحياة وتذهب بصفائها؛ لذا سلطها الله على بني إسرائيل، ومن هنا نلاحظ العلة من سردها هنا في هذا السياق. ونلاحظ هنا تفرد القمل والضفادع في السياق؛ لأنهما من الآيات التي سلطها الله على قوم فرعون، ولكن دون جدوى. وهناك ترتيب دقيق فجاء بعد الجراد القمل وهما نوعان مختصان بالزروع والثمار، ولكن القمل أكثر تركيزاً على كل ما هو أخضر وما تركه الجراد أكمل عليه القمل. ومن العجب أن الآية اشتملت على كل ما هو مزعج ومخرب لكل

(1) سورة الأعراف، آية رقم: ١٣٣.

(2) انظر: معاني القرآن للفراء، ج1، ص392، معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص370، الصحاح، ج5، ص1805، مفردات الراغب، ص413، اللسان، ج11، ص307، 308، بصائر ذو التمييز، ج4، ص297.

(3) الشعر اوي، ج1، ص3023.

(4) البسومي، باسل سعيد. (2001م) معجم الفرائد القرآنية. رام الله: مركز نون للدراسات، ص32.

(5) ابن عاشور، الطاهر. (2000م). التحرير والتنوير. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ج6، ص6.

نواحي الحياة الطبيعية، ففيها ما يخص النهار ويقيد الحركة وهو الطوفان الذي يؤدي إلي الهدم والغرق ويقيد الحركة والسعي والتي بدونها تقف الحياة، ثم الجراد الذي يأكل الأخضر واليابس من النباتات والثمار والمحاصيل الغضة، ثم القمل الذي يقضي علي المخزون من الحبوب والمحاصيل وينقل العديد من الأمراض، ثم الضفادع التي تزيل النوم من الجفون بنقيقها المزعج وقدرتها علي نقل العديد من الأمراض كذلك، وبعد ذلك كله الدم النتن المليء بالنفائات الجسدية والفيروسات والجراثيم التي تجعل الحياة حقًا مستحيلة وهي صورة من صور العذاب الإلهي الشامل لمجموعة من الكفرة والمشركين، والغلاة المتجبرين في الأرض، وكان فيها من التسلسل المنطقي، والشمول والإحاطة بحيث ما تركت شيئاً يعكر صفو الحياة إلا وأثبتته. ويا ليتهم خضعوا ورجعوا!!.

المبحث الثالث: الإعجاز العلمي واللغوي في حديث القرآن عن العنكبوت

ولفظ الْعَنْكَبُوت: ورد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (1). والآية في الحديث عن أهل الشرك والكفر الذين اتخذوا من دون الله أولياء بضرب مثال لهم.

وأصلها: (عنكب) والعَنْكَبُوتُ دُوَيْبَّةٌ تَنْسُجُ في الهواء وعلى رأس البئر نَسْجًا رقيقاً مُهْلَلاً وهي مؤنثة ومذكرها العنكب، والتأنيث في العنكبوت أكثر والجمع الْعَنْكَبُوتَاتُ وَعَنْكَبٌ وَعَنْكَبِيٌّ عن اللحياني وتصغيرها عُنَيْكِبٌ وَعُنَيْكَبٌ (2). والعنكبوت: "صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل وهي ثلاثة أصناف، منها صنف يسمى ليث العناكب وهو الذي يفترس الذباب، وكلها تتخذ لأنفسها نسيجاً تنسجه من أعابها يكون خيوطاً مشدودة بين طرفين من الشجر أو الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانباً أغلظ وأكثر اتصال خيوط تحتجب فيه وتفرخ فيه. وسمي بيتاً لشبهه بالخيمة في أنه منسوج ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر" (3). والمعنى هو: ضرب الله - تعالى - مثلاً للمشركين الذين اتخذوا آلهة من دون الله، يرجون نفعهم ونصرهم ورزقهم فقال: إن مثل عمل هؤلاء المشركين، مثل العنكبوت التي اتخذت بيتاً تحتمي به، مع أن بيتها هو أوهى البيوت، وأضعفها، وأبعدها عن الصلاح لتأمين الحماية، ولو علم المشركون حقيقة حالهم لما اتخذوا من دون الله أولياء لا يغنون عنهم شيئاً، لكن الجهل بلغ من هؤلاء حداً لا يستطيعون معه التمييز بين الخير والشر. والآية تنطوي على تمثيل بديع من مبتكرات القرآن؛ إذ تنطوي على تشبيه تمثيلي حيث شبه هيئة بهيئة وهي تشبيه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها واعتمد عليها راجياً نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً فكما أن بيتها لا يدفع عنها حراً ولا برداً ولا مطراً ولا أذى وينتقض بأدنى ريح فكذلك الأصنام لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضرراً ولا خيراً ولا شراً.

وحقيقة هذا التمثيل كان أصدق وأبلغ وأقوى وأوقع؛ إذ إن العنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفاً، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستتصرونهم، ازدادوا ضعفاً إلى

(1) سورة العنكبوت، آية رقم: (41).

(2) لسان العرب ج. 1 ص. 632.

(3) التحرير والتنوير ج. 11 ص. 76.

ضعفهم، ووهناً إلى وهنهم، فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معונاتهم أقل نائل. والعنكبوت يتخذ لنفسه بيتاً، ولكن كلما زاد نسجاً في بيته ازداد بُعْداً في الخروج منه؛ فهو يبني ولكن على نفسه يجني، كذلك الكافر يسعى ولكن على نفسه يجني. وبيت العنكبوت أكثره في الزوايا من الجدران، كذلك الكافر أمره على النقيّة والكتمان، وأمّا المؤمن فظاهر المعاملة، لا ستر ولا موارد ولا تدليس. ووصف بيت العنكبوت بأوهن البيوت لأنه بلا أساس ولا جدران ولا سقف وغير متماسك كذلك الكافر، وفيه إشارة إلى أنه لا أصل لموالاته ما سوى الله. والآية تتطوي على نوع من الإعجاز شائق، نلاحظه في الآتي: "إن كلمة العنكبوت وردت في الآية الكريمة بصيغة التأنيث لا التذكير «اتخذت بيتاً». فالعلماء لم يكتشفوا إلا مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي من يقوم بإفراز المادة الحريرية وجدل الخيوط وغزل الشبكة. وكلمة (اتخذت) لا تشير فقط إلى أنثى العنكبوت بل إلى وجود عملية بناء حقيقية تقوم بها بغرض السكن والتفريخ. وفي المقابل يقتصر دور الذكر على التلقيح والارتواء عند قدمي الأنثى كي تأكله بعد انتهاء عملية التزاوج. وهذا المصير المخيف جعل بعض المفسرين يرون أن المقصود في الآية الكريمة-هو وهن البيت من الناحية الاجتماعية والأخلاقية لا المادية والميكانيكية؛ فبالمقارنة-حتى مع عالم الحشرات-يُعدُّ بيت العنكبوت «أوهن البيوت» من الناحية الأسرية وأكثرها أنانية وشراسة؛ فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح وتأكّل أبنائها بعد خروجهم من البيض. ومن هذا المنظور تسجل الآية سبقاً فريداً من حيث الإخبار عن السلوك الداخلي للعنكبوت ووهن بيتها من الناحية الأخلاقية والاجتماعية !!

والتفريق بين وهن البيت «كوصف مجازي» وقوة المادة التي يبني منها يثبت استعمال الآية الكريمة لكلمة «بيت» وليس «خيطة» أو «شبكة». أضف لهذا أن وهن البيت-من الناحية الاجتماعية والأخلاقية-جاء أصلاً في سياق ضرب المثل بمن يتخذ من دون الله أولياء حيث الصلات واهية والروابط متقطعة والغدر وارد في أي لحظة.

وفي بيت العنكبوت إعجاز علمي يوضحه بحث لأستاذ علم الحشرات ووقاية النبات بكلية الزراعة جامعة عين شمس الدكتور: البمبي، وهذا البحث تناول الدكتور فيه حشرة العنكبوت وطريقة حياتها وكيفية بنائها لبيتها وأسلوبها في صيد فريستها ثم تطرّق البحث إلى الإعجاز القرآني والذي ثبت علمياً حول هذه الآيات. وقد استهل الدكتور بحثه بقول الله تعالى: (كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)، فقال: "ذكر الله تبارك وتعالى كلمة {اتَّخَذَتْ} وهي فعل اتصل به تاء التأنيث للدلالة على المؤنث بعد كلمة العنكبوت، وهي كلمة مذكورة مما يبدو معه

بداهة أن هناك -عياداً بالله- خطأ لغوياً في الآية" يقول الدكتور: "لو صحت لغوياً لكان خطأ علمياً، وهذا لا يمكن أن يصدر من خالق العنكبوت وخالق الكون كله. فمن خلال الدراسات المستفيضة في علم الحشرات وعن طبيعة حشرة العنكبوت اتضحت لنا الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن ذكر العنكبوت لا يستطيع أن يبني بيتاً، وأن التي تقوم ببناء البيت هي أنثى العنكبوت فقط من خلال مغزل خاص موجود في نهاية بطنها، ولا يوجد مثله عند الذكر. الحقيقة الثانية: لا تبدأ الأنثى في بناء هذا البيت إلا حينما تصل إلى مرحلة البلوغ والاستعداد للزواج، فتقوم عند ذلك ببناء بيتها، والذي يكون عامل جذب قوي للذكر غير القادر على البناء بطبيعة خلقته. الحقيقة الثالثة: تقوم الأنثى ببناء بيتها بخيوط منسوجة بتداخلات فنية وهندسية خاصة بحيث تكون شديدة الحساسية لأية اهتزازات خارجية، وهذه الخيوط مشبعة بمادة لزجة صمغية تلتصق بها أية حشرة بمجرد مرورها عليها أو الاقتراب منها، وهذه الخيوط تقوم بتكبييل الحشرة حتى تأتي أنثى العنكبوت فتقترب منها. الحقيقة الرابعة: بعد أن تتم مرحلة التزاوج وينتهي الذكر من تلقيح الأنثى، تذهب الأنثى إلى مكان بعيد آمن حيث تضع بيضها وبينما الذكر في بيته يشعر بالأمان، فإذا بالأنثى تنقض عليه فتأكله، وهذا الأكل لا بد أن يتم؛ حيث إن أنسجة الذكر مهمة في عملية إنضاج البيض. وبهذه الحقائق التي استخلصها الباحث من بحثه تتضح لنا الأمور التالية:

أولاً: بيت العنكبوت هو أو هن البيوت على الإطلاق من حيث بنائه ودقة خيوطه التي لا تقي حراً ولا قرأً ولا تدفع عن ساكنه عدواً كما قال أهل التأويل رحمهم الله.

ثانياً: على الرغم من أن بيت العنكبوت هو أو هن البيوت على الإطلاق، إلا أنه لا يعدو كونه فخاً وشركاً منصوباً لأية حشرة تقترب منه أو تمر عليه.

ثالثاً: لا يقتصر وهن بيت العنكبوت على الوهن الحسي الطاهر في بنائه فقط، بل إن هناك وهناً معنوياً آخر، حيث بدا هذا البيت لذكر العنكبوت أماناً كاذباً وقد كان مصرعه حيث ظن هذا الأمان. وإذا أردنا أن نقف على وجه الشبه كاملاً بين بيت العنكبوت وطائفة ممن اتخذوا من دون الله أولياء، فلن نجد أجلى وأظهر من طائفة عباد الأموات الذين اتخذوا من دون الله أولياء يستنصرون بهم ويذبحون لهم وينذرون لهم ويستغيثون بهم من دون الله -عز وجل-⁽¹⁾. وعلى ما تقدم ذكره فقد تفردت الكلمة في هذا السياق، والله در التعبير القرآني.

(1) انظر: <http://www.factway.net>، مقال بعنوان الإعجاز العلمي في قوله تعالى (إن أو هن البيوت لبيت العنكبوت). تاريخ التصفح 2013/4/1م.

المبحث الرابع: الإعجاز العلمي واللغوي في حديث القرآن عن النحل

لفظ النحل: ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (1). وذكرُ الله - سبحانه وتعالى - للنحل هنا وتسمية هذه السورة باسمه ليلفت انتباهنا إلى عظمة هذا المخلوق الصغير والذي تتجلى فيه قدرة الله - تعالى -. فباديء ذي بدء يعد النحل مجتمع أنثوي بدرجة كبيرة ؛ لذا كان الخطاب بالموئث في (اتخذي - كلي - فاسلكي - ربك) ؛ لأن الإناث هن اللاتي يضعن العسل وهذه إحدى المعجزات، وللتأكيد على هذا " فإن طائفة النحل تتكون من الملكة (أو أم النحل) وهي الأنثى الوحيدة الخصبة في طائفة النحل، والشغالات تعد إناثا عقيمة ضامرة الجهاز التناسلي وهي تقوم بكل الأعمال اللازمة فهي ترعى الملكة وتلعقها وتنظفها وتحميها وتغذيها بالغذاء الملكي من غدغ تفرزها من رءوسها كما تعمل على حراسة الطائفة وقتال أعداء النحل وتعمل على جمع الماء والرحيق وحبوب اللقاح وتقوم ببناء الأقراص الشمعية التي تربي فيها الحضنة وتخزن فيها العسل وحبوب اللقاح كما ترعى الحضنة وتغذيها وتلطف جو الخلية بالتهوية بالأجنحة ... إلخ" (2)، ويواصل الباحث عبد الدايم الكحيل كلامه عن النحل قائلاً: " أما الذكور فلا مهمة لها على الإطلاق سوى تلقيح العذراء لتصبح ملكة شابة ولا تتزاوج الملكة بعد ذلك مطلقاً وتظل طوال حياتها (حوالي 4 سنوات) تضع بيضاً مخصباً حيث تخزن الحيوانات المنوية في حويصلة خاصة وتخرج حيوان منوي واحد لكل بيضة تضعها، وقد تضع ألف بيضة في اليوم الواحد. ولا توجد في الخلية سوى ملكة واحدة وعند فقد هذه الملكة تقوم الشغالات بتغذية بعض اليرقات الصغيرة بالغذاء الملكي فتتحول إلى عذراء خصبة بدلاً من شغالة عقيمة. بعد خروج العذراء من الشرنقة تتغذى لبضعة أيام على العسل وتعاملها الشغالات بقسوة لتدفعها إلى الخروج للتزاوج، تقف العذراء على مدخل الخلية وتصدر أزيزاً لا يكاد يسمعه النحال على بعد خطوات بينما تسمعه الذكور على بعد عدة كيلومترات وتأتي سريعاً وعندما يجتمع عدد كاف تطير العذراء في رحلة تسمى الزفاف الملكي وتندفع الذكور وراءها ويتم التلقيح في الجو وتعود العذراء إلى الخلية وقد أصبحت ملكة وتتلقاها الشغالات بالترحاب والعناية الفائقة ، أما الذكور فمصيرها هو القتل عند باب الخلية فقد انتهت مهمتها وليس لها أي عمل مفيد ولا تملك حتى أداة لسع لتدافع

(1) سورة النحل، آية رقم: (68-69).

(2) ينظر: www.kaheel7.com. (بتصرف). مقال بعنوان: الإعجاز العلمي في النحل.

عن الخلية أو عن نفسها"⁽¹⁾، ومن هنا نلاحظ دقة التعبير القرآني في مخاطبة الجندي المجهول في هذه الخلية وهي الشغالة لذا جاء الفعل بالإفراد والتأنيث. ومن الإعجاز اللغوي في الآيات كذلك : قوله تعالى (وأوحى) ثبت أن النحل لا تتعلم صنع العسل بل هي غريزة وضعها الله فيها ابتداءً ، والفعل ماضٍ معجز خالد ونلاحظ أن الظاهرة الزمنية قد تلغى تماماً فالفعل هنا غير مرتبط بزمن فالله أوحى إليها وما زال الوحي مستمرا وسيستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وأيضاً في قوله تعالى: (فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) فلقد ذلل الله لها الطريق وهداها للسير فيه فتراها تقطع آلاف الكيلومترات في اليوم الواحد وتعود دون أن تضل الطريق. وأيضاً فإن لترتيب الأمر للنحلة فيما يخص السكن والإقامة من الجبال ثم الأشجار ثم مما يعرشن فهناك من النحل ما لا يمكن أن يعيش في الخلايا التي يعده الإنسان فيبقى في الجبال والأشجار. ومن اللطائف اللغوية أن ما يخرج من فم يسمى (عسلًا) ، وأن ما يخرج من أديارها يسمى (لسعا) وهذا هو سلاحها الذي تدافع به عن نفسها، وسبحان الخالق! ومن الإعجاز اللغوي في الآيات هو أنه من المعروف أن هذه الآية المقصود الرئيس منها هو العسل إلا أن النص القرآني ذكر كلمة (شراب) وهي عامة يندرج تحتها كل أنواع الشراب، والسر في ذلك هو أن النحل لا ينتج من بطونه العسل فحسب بل إنه ينتج مواد متعددة شافية ولكنها لم تكن معروفة حين نزل القرآن وهذه المواد "هي سم النحل والشمع الذي يخرج من جسمه سائلاً، والبروبوليس (العكبر) بالإضافة إلى الغذاء الملكي وحبوب اللقاح"⁽²⁾ ؛ لذا عُرف السبب من التعبير بالشراب دون العسل في الآية. و"لقد ثبت علمياً أن أفضل أنواع العسل فائدة من الناحية الطبية هو العسل الجبلي، يليه العسل المستخرج من الأشجار، ثم الذي يخرج من العرائش التي يعدها الإنسان. وهذا موافق لترتيب القرآن"⁽³⁾.

ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن النحلة هي أعظم وأصغر مهندس في فن العمارة أو البناء...وهي تبني بيوتها على هذا الشكل السداسي المتناسق ببساطة وسهولة.. في نفس الوقت الذي قد يعجز فيه مهندسو البشر عن بناء مثل هذه البيوت إلا إذا استعانوا بأدق الأجهزة وأحدثها، "وتتفق كل دراسات العلم وتلتقي كل تقارير العلماء على أن بيوت النحل هي أكمل وأجمل وأدق وأرق ما يمكن مشاهدته من عمل يقوم به كائن حي في هذه الحياة الدنيا"⁽⁴⁾. والسر في التعبير

(1) السابق، نفسه.

(2) بكر، رضا فضيل. (1992م). وجوه الإعجاز في آيات النحل. القاهرة: دار الاعتصام. ط1، ص136،

(3) ينظر: www.kaheel7.com. (بتصرف).

(4) بكر، رضا فضيل. وجوه الإعجاز في آيات النحل، ص84.

بكلمة (بيوتاً) "لما فيها من دقة الصنع وجميل الهندسة"⁽¹⁾. والكلمة تشي كذلك بأن هناك ترابطاً أسرياً أو حفاظاً ورعاية للأجيال حتى تشب عن طوقها كما هو الحال عند الإنسان، وذلك عكس ما ذُكر عن بيت العنكبوت. وأخيراً ختمت آية النحل بقوله تعالى: *﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾*⁽²⁾. وكأن المقصود أنه لن يظهر إعجاز آية النحل إلا بإعمال العقل وإمعان التفكير؛ إذ إنها تبدو سهلة ميسرة إذا قرأناها قراءة سطحية، ولكن بالتفكير والتدبر نجدها تتطابق تماماً مع المعلومات التي عرفت حديثاً عن النحل ولم تكن معروفة حين نزول القرآن على الرسول- صلى الله عليه وسلم -.

(1) المراغي، مصطفى، (1974م). تفسير المراغي، مصر: دار الفكر، ج14. ص101.
(2) سورة النحل، آية رقم: (96).

المبحث الخامس: الإعجاز العلمي واللغوي في حديث القرآن عن النمل

ورد لفظ النمل في قوله تعالى: **﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَنَبَسِمَ صَاحِبُهَا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾** (1). تصف هذه الآيات الكريمة موكب سيدنا سليمان – عليه السلام – المهيب وحوله جنده من الجن والإنس والطير، وعند اقترابه من وادي النمل، فإذا بنملة تحمل هموم شعبها تنتبه للخطر القادم الذي سوف يهدد أفراد قومها نتيجة وطء أقدام سليمان- عليه السلام- وجنده، فانبرت مخاطبة أفراد قومها بقولها يا أيها النمل وتأمرهم بدخول مساكنهم حتى لا يدوسهم سليمان- عليه السلام- وجنوده وهم لا يشعرون فقد نصحت قومها وبينت لهم مكنم الخمر وأمرتهم بالدخول واعتذرت عن سليمان – عليه السلام – وجنوده فهم صالحون لا يتعمدون إيذاء أي مخلوق ولو كان نملة صغيرة . والله – سبحانه وتعالى -لم يذكر النمل في القرآن الكريم إلا ليلفت انتباهنا إلى عظمة وروعة هذه الكائنات التي يحسبها الإنسان مخلوقات تافهة، ولكنها بحق مخلوقات منظمة ذات قدرات خارقة، تعمل ضمن خطة عمل واضحة حيث يتوزع العمل على أفراد الخلية، فيقوم كل فرد من أفراد المملكة بواجبه على أكمل وجه من خلال البرنامج الفطري الذي أودعه الله - تعالى - في دماغه. وانطوت هذه الآيات على إعجاز علمي ولغوي يتمثل في الآتي:

1. **ذكر القرآن كلمة نملة بلفظ المؤنث:** قَالَتْ نَمْلَةٌ. فقد ثبت علمياً أن النملة الأنثى العقيمة هي التي تقوم بأعباء المملكة من جمع الطعام ورعاية الصغار والدفاع عن المملكة وتخرج من الخلية للعمل، أما النمل الذكر فلا يظهر إلا في فترة التلقيح ولا دور له إلا في تلقيح الملكات.
2. **وجود لغة تفاهم بين أفراد النمل:** (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ). فقد اكتشف العلماء أن للنمل لغات تفاهم خاصة بينها وذلك من خلال تقنية التخاطب من خلال الشفرات الكيماوية وربما كان الخطاب الذي وجهته النملة إلى قومها هو عبارة عن شفرة كيماوية، "فقد أثبتت أحدث الدراسات العلمية أن لكل نوع من أنواع الحيوانات رائحة خاصة به، وداخل النوع الواحد هناك روائح إضافية تعمل بمثابة بطاقة شخصية

(1) سورة النمل، آية رقم: (18-19).

أو جواز سفر للتعريف بشخصية كل حيوان أو العائلات المختلفة، أو أفراد المستعمرات المختلفة " (1)

3. تركيب جسم النملة: ففي زمن نزول القرآن لم يكن لأحد قدرة على دراسة تركيب جسم النملة أو معرفة أي معلومات عنه، ولكن وبعد دراسات كثيرة تأكد العلماء " أن للنمل هيكل عظمي خارجي صلب جداً يسمى (exoskeleton) (ولذلك فإن النملة لدى تعرضها لأي ضغط فإنها تتحطم، ولذلك جاء على لسان النملة في القرآن الكريم : (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ) وبالتالي فإن كلمة (يَحْطِمَنَّكُمْ) دقيقة جداً من الناحية العلمية" (2) ، فسبحان الله القادر على خلق كل شيء فمن اكتشاف العلماء أن جسم النملة مغلف بغلاف صلب جداً قابل للتحطم، أي ليس له مرونة تجعله ينحني مثلاً، بل يتكسر كالزجاج، ولذلك جاء البيان الإلهي ليتحدث عن هذه الحقيقة بكلمة (يحطمنكم)، أليست هذه معجزة قرآنية؟ فسبحان الله العزيز الحكيم (ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير).

4. ذكاء النمل: لقد أشار القرآن الكريم إلى حقيقة علمية كبيرة وهي ذكاء النمل وقدرته على المحاكمة العقلية والفكرية ومواجهة الأخطار وذلك من خلال هذه القصة التي حدثت مع نبي الله سليمان - عليه السلام - وعلى نبينا أفضل - الصلاة والسلام-، فقد استطاعت نملة صغيرة من تحديد مكان سليمان والطريق الذي سوف يمر به وهذا لم يكن ليتم لولا هذه القدرات الخارقة التي يتمتع بها النمل . و"لقد كشف العلم الحديث عن بعض العجائب من سلوك النمل الذكي وتطور جهازها العصبي فعند دراسته تحت المجهر يظهر لنا أن دماغ النملة يتكون من فصين رئيسيين يشبه مخ الإنسان، ومن مراكز عصبية متطورة وخلايا حساسة" (3) .

5. وادي النمل: لقد أشار القرآن أن النمل مخلوقات اجتماعية تعيش في مستعمرات وهي مخلوقات متعاونة متكاتفة يشعر كل فرد منها بشعور الآخرين ويظهر ذلك في سلوك النملة وفي إنذار قومها.

ومما تقدم نتبين أن هذا العالم من الحشرات مليء بالمعجزات التي تدل على طلاقة قدرة الله في خلقه، وما زلنا في البحث عن المزيد من هذه المعجزات.

(1) ينظر: com. موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. www. تاريخ التصفح 2013/6/2م. (بتصرف يسير).

(2) السابق، نفسه.

(3) السابق، نفسه.

وَصَدَقَ اللَّهُ إِذْ يَقُولُ: ۞ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ⁽¹⁾.

(1) سورة فصلت، آية رقم: (53).

الخاتمة

- ومما يعرف أن لكل غرس ثماراً تقتطف إذا حان حينها، وفي وصول البحث إلى غايته التي يرتجىها يمكن أن يضع الباحث بين يدي القارئ جملة من النتائج وهي:
- إن القرآن الكريم معين لا ينضب وجنة فيحاء لا ينقضي ثمرها، بل يظل ملء السمع والبصر، يملك الفؤاد ويستولى على العقل والوجدان.
 - إن الإعجاز البلاغي واللغوي إعجاز فيّاض عظيم التدفق لا يقع في حصر. وسبيل التعرّض لفيوضاته وتلمّس أسرارها لا يقف عند حد في كلمة أو جملة، بل يشهد السياق في مجمله بستاناً مورقاً يانع الثمار والأزهار، لا تكاد تمد يداً لقطف ثمرة إلا وتجذبك الأخرى والأخرى... فلا تستطيع الفراغ حتى تأتي على البستان كله، ولم ولن يتح ذلك لأحد لأن عطاءه الثرّ لا ينفد.
 - إن للإعجاز اللغوي والبلاغي خصائص ومميزات يجب الرجوع إليها للوقوف على أوليات هذا الإعجاز.
 - يكاد العلماء جميعاً من (لغويين ومفسرين ومتكلمين ونقاد وبلاغيين) يجمعون على أن إعجاز القرآن يكمن في نظمه وفصاحته وبلاغته.
 - القول بالإعجاز العلمي ممتد عبر التاريخ الإسلامي، وقام بالتفسير العلمي للقرآن الكريم بعض قدامى المفسرين، وهو مطلب معاصر يتفق عليه المتخصصون في العلوم الدينية والمتخصصون في العلوم الكونية، ويرون أن المكتشفات والمعارف العلمية الحديثة تعين على فهم وتفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم.
 - يتفق المؤيدون للإعجاز العلمي على أن القرآن الكريم كتاب هداية وليس بكتاب لتدريس العلوم الكونية، وما جاء به من إشارات علمية إنما هو من باب الاستيعاب للحقائق الكونية. وأن القرآن استخدم الحقائق الكونية في الدعوة إلى الإيمان والفضيلة وهذه الحقائق الكونية تقف شاهداً على صدق القرآن الكريم، ليظل حجة على الناس كلما انتشرت العلوم الطبيعية ويصبح ذلك من عناصر خلوده.
 - المعول الأساسي في قضية الإعجاز العلمي هو قضية الحقائق العلمية الثابتة الغير قابلة للتغيير، وليس النظريات العلمية التي مازالت محل دراسة وتتعرض للتغيير والتبديل.
 - الإعجاز العلمي لا يخرج عن كونه وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودراسته تعتبر إضافة إلى علوم القرآن، والمشتغلون به فريق من العلماء يتعاونون مع سائر المشتغلين بدراسة علوم القرآن، وكل في مجاله،

ليظهر أخيراً طلاقة قدرة الله في خلقه؛ ليترتب عليه تأكيد الإيمان به والعمل له.

- لا تعارض بين التفسير العلمي والتفسير التقليدي، بل هو إضافة إليه مما يزيد الاتساع في فهم القرآن، خاصة في الآيات الكونية التي كانت تدخل في دوامة التأويل والمجاز وأحداث الآخرة.... إلخ.
- حوت الحشرات التي ورد ذكرها في القرآن على حقائق وغرائب ولطائف تدل على جودة الصنع وإتقان الصانع، وطلاقة قدرة الله في خلقه فالعبرة ليست بالحجم والكبر، بل كلما دق الخلق دلّ على براعة الخالق.

التوصيات

1. تأليف كتاب جامع لكل أنواع الإعجاز؛ إذ لا يوجد حتى الآن- وحسب علمي- كتاب مصنف جامع لوجوه الإعجاز المتنوعة؛ لذا أقترح على الدارسين والباحثين في الجامعات والمعاهد العلمية التعاون لإخراج مثل هذا المصنف المفيد، والجامع لما تفرق في بطون الكتب القديمة والحديثة.
2. التوسع في بيان الإعجاز البياني، والكشف عن أسرارهم؛ إذ قد تاه أكثر جوانبه في أودية البلاغة ومصطلحاتها ومعانيها ، ولهذا لم يعد واضحاً لعامة الناس أثر الإعجاز البياني وأهميته .
3. الحرص على تقريب معاني القرآن للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية: (قراءة ودراسة وتعلماً) ، وتشجيع الباحثين المثاليين وتوفير كافة الإمكانيات المتاحة لهم .
4. تقرير مادة تسمى " مفردات أو فرائد القرآن " على أقسام طلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات المختلفة؛ لتقرب الطلاب من كتاب ربهم ومن لغته التي تسهم في معرفة المزيد عن دينهم ويقوى بها إيمانهم.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع:

- الأصفهاني، الراغب الحسین بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان داودي، دار العلم، بيروت، 1412هـ.
- البسومي، باسل سعيد، معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للدراسات، رام الله، ط1، 2001م.
- بكر، رضا فضيل. وجوه الإعجاز في آيات النحل. دار الاعتصام، القاهرة- مصر. ط1، ص136، 1992م.
- الرازي، محمد بن بكر. (1910م). مختار الصحاح. مصر: مطابع الأميرية. ط2.
- الزجاج، علي إبراهيم، معاني القرآن وإعرابه، ت/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1988م.
- الزحيلي، وهبة، المنير في العقيدة الشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، ط2، دمشق، 1418هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، صححه/ عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، 1424هـ / 2003م.
- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، د.ت.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ت/ مكتب الإعداد العلمي في دار الإعلام، دار ابن حزم، بيروت لبنان، دار الإعلام، الأردن، ط1، 1423هـ / 2002م.
- ابن عاشور، محمد بن الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، بيروت، 2000م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، دار الكتب، ط3، 1983م.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز، ت/ عبدالعليم الطحاوي، القاهرة، 1973م.
- قطب. سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط11، مصر. 1402هـ.
- المراغي، مصطفى، تفسير المراغي، دار الفكر، ج14. ص101، مصر. 1974م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، 2000م.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

- مجلة وجهات نظر (2002م). العدد (44).

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- www.quran-m.com -
- www.islam2all.com. -
- www.factway.net -
- www.kaheel7.com -